

اليهود

عناصر الموضوع

٤٠	التعريف باليهود
٤٤	اليهود في الاستعمال القرآني
٤٥	الألفاظ ذات الصلة
٤٧	نعم الله على بني إسرائيل
٥٠	انحرافات اليهود
٦١	تحريفات اليهود
٦٨	اليهود والعقوبات الإلهية

التعريف باليهود

قبل أن نبدأ الحديث عن اليهود وعن انحرافاتهم وضلالاتهم وطباعهم القبيحة كان حرياً بنا أن نميز بين مصطلحي اليهود وبني إسرائيل، حيث إن كثيراً من الباحثين والكتاب يختلط الأمر عليهم، فيتحدثون عن اليهود وكأنهم هم بنو إسرائيل، وعن بني إسرائيل كأنهم هم اليهود أنفسهم، وهذا الأمر يجب أن يوضح منذ البداية.

أولاً: التعريف باليهود:

اليهود: هم من ينتسبون إلى الديانة اليهودية. واختلفت الأقوال في سبب تسميتهم بهذا الاسم، فمنها: قيل: إنهم سموا يهوداً؛ «لأنهم يتهودون، أي: يتحركون عند قراءة التوراة»^(١) بنو إسرائيل: هم ذرية سيدنا يعقوب عليه السلام، فإسرائيل هو اسم سيدنا يعقوب. و«اتفق المفسرون على أن إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، ومعناه: عبدالله؛ لأن (إسرا) في لغتهم هو العبد و(إيل) هو الله، وقيل: إن له اسمين. وقيل: إسرائيل لقب له. وهو اسم أعجمي غير منصرف»^(٢). وقيل: إنهم سموا يهوداً نسبة إلى (يهوذا) الابن الرابع ليعقوب عليه السلام، قال البيروني: «وإنما سموا باليهود نسبة إلى يهوذا أحد الأسباط، فإن الملك استقر في ذريته، وأبدلت الذال المعجمة دالاً مهملة؛ لأن العرب كانوا إذا نقلوا أسماء أعجمية إلى لغتهم غيروا بعض حروفها»^(٣).

وقيل: من التوبة والرجوع، ذكر ابن منظور في معجمه «الهود: التوبة، هاد يهود هوذا: تاب ورجع إلى الحق فهو هائد، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَأَكْتَسَبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا لِأَيْتِكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، أي: تبنا ورجعنا إليك، وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير وإبراهيم، ويهوذا اسم للقبيلة وقالوا: (اليهود) فأدخلوا الألف واللام فيها على إرادة النسب يريدون اليهوديين، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُلْفَرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، معناه: دخلوا اليهودية، وهود الرجل: حوله إلى اليهودية، وهاد يهود إذا

(١) بنو إسرائيل في القرآن والسنة، محمد سيد طنطاوي ص ١٣.

(٢) فتح القدير، الشوكاني ٥١/١.

(٣) تاريخ الملل والنحل، أمين الخولي ٤/٢.

صار يهوديًا»^(١).

ثانيًا: الفرق بين بني إسرائيل واليهود:

بنو إسرائيل: هم ذرية سيدنا يعقوب عليه السلام، فإسرائيل هو اسم سيدنا يعقوب. «اتفق المفسرون على أن إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، ومعناه: عبد الله؛ لأن (إسرا) في لغتهم هو العبد و(إيل) هو الله، وقيل: إن له اسمين. وقيل: إسرائيل لقب له. وهو اسم أعجمي غير منصرف»^(٢). ولعل الفرق يتضح جليًا بين مصطلحي اليهود وبني إسرائيل من خلال آيات القرآن الكريم:

فلقد ذكر مصطلح (بني إسرائيل) إحدى وأربعين مرة في القرآن الكريم، والمتتبع للآيات التي ذكر فيها بنو إسرائيل في القرآن الكريم يجد أن ذكرهم قد قصد به أزمان وأوقات مختلفة: * فآية واحدة فقط تحدثت عن بني إسرائيل قبل زمن سيدنا موسى عليه السلام، بقوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣]. ونصف الآيات التي ذكر فيها مصطلح (بني إسرائيل) قصدت للذين عاصروا سيدنا موسى عليه السلام، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَنُوزَنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَنْمُوسَى أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

* وهناك بعض الآيات تحدثت عن بني إسرائيل بعد عهد سيدنا موسى عليه السلام، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى آلِ الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَاءِنَا قُلُومًا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦]. وقوله سبحانه: ﴿لَمِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨].

* كما أن هناك بعض الآيات التي تحدثت عن بني إسرائيل الذين عاصروا سيدنا عيسى

(١) لسان العرب، ابن منظور ٣٩٧/١٥.

(٢) فتح القدير، الشوكاني ٥١/١.

عليه السلام، كقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَءِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

ومن الآيات ما تحدثت عن بني إسرائيل الذين عاشوا زمن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُضُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦].

ولقد ذكر ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «يقول تعالى مخبراً عن كتابه العزيز، وما اشتمل عليه من الهدى والبيّنات والفرقان، أنه يقص على بني إسرائيل - وهم حملة التوراة والإنجيل - أكثر الذي هم فيه يختلفون، كاختلافهم في عيسى وتباينهم فيه، فاليهود افتروا، والنصارى غلوا، فجاء إليهم القرآن بالقول الوسط الحق العدل، أنه عبد من عباد الله وأنبيائه ورسله الكرام عليه أفضل الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٤]»^(١).

وعن اختلاف بني إسرائيل بشأن عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفَرًا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَن أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

ولقد ذكر ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية «الإخبار بأن بني إسرائيل افترقوا طائفتين، طائفة آمنت بعيسى وما جاء به، وطائفة كفرت بذلك، وهذا التفريع يقتضي كلاماً مقدراً وهو «فنصروا الله بالدعوة والمصابرة عليها» فاستجاب بعض بني إسرائيل وكفر بعض، وإنما استجاب لهم من بني إسرائيل عدد قليل، فقد جاء في إنجيل «لوقا» أن أتباع عيسى كانوا أكثر من سبعين، والمقصود من قوله: ﴿فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ التوطئة لقوله: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾، والتأييد النصر والتقوية، أيد الله أهل النصرانية بكثير ممن اتبع النصرانية بدعوة الحواريين وأتباعهم مثل بولس»^(٢).

بناءً على ذلك، يتضح جلياً أن بني إسرائيل قد انقسموا إلى قسمين ظاهرين بديانيتين مختلفتين، وهما اليهودية والنصرانية، فبني الله عيسى عليه السلام هو من بني إسرائيل وأرسل إليهم رسولاً مصداقاً لما بين يديه من التوراة ومبشراً بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٨٩.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٨/ ٢٠٢.

وسلم، كما أوتي الإنجيل فيه هدىً ونور.

فاختلف بنو إسرائيل بشأن سيدنا عيسى عليه السلام، فمنهم من آمن به وصدقه وناصره، ومنهم من لم يؤمن به وكذبه وحاول قتله: فالقسم الأول من بني إسرائيل هم النصارى الذين قاموا بعد ذلك بنشر دينهم للعالمين، وما زالت الحملات التنصيرية التي يقوم بها هؤلاء شاهداً على حرصهم على نشر دين النصرانية أو المسيحية التي حرفت وحادت عن طريق الحنيفية السمحاء.

والقسم الآخر من بني إسرائيل «وهم الأغلب» كذبوا عيسى عليه السلام وحاربوه وحاولوا قتله، فرفعه الله إليه، وهؤلاء بدورهم لم يقوموا بنشر دينهم كما فعل النصارى، بل حرصوا أشد الحرص على ألا يدخل في دينهم أحد، إلا أنه وفي فترات من التاريخ دخل الدين اليهودي مجموعة من الناس كيهود الخزر وغيرهم.

لذلك نجد في وقتنا الحالي أن عدد النصارى أكثر بكثير من عدد اليهود، مع العلم أنهم مع بداية افتراقهم كان عدد بني إسرائيل الذين اتبعوا الديانة النصرانية أقل بكثير من عدد بني إسرائيل الذين اتبعوا الديانة اليهودية، لذا عندما يطلق الحديث عن بني إسرائيل يتبادر للذهن مباشرة أنهم هم اليهود.

اليهود في الاستعمال القرآني

وردت مادة (هود) في القرآن الكريم (٢١) مرة^(١).
والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	١١	﴿قُلْ يَتَايِبُهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة: ٦]
الاسم (هود)	١	﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥]
الاسم (اليهود)	٩	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]

واليهود هم أتباع الديانة اليهودية، وهم من بني إسرائيل، وليس كل بني إسرائيل من اليهود.

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ص ٧٦٩.

الألفاظ ذات الصلة

١ أهل الكتاب:

أهل الكتاب لغة:

أهل الرجل عشيرته وذوو قرياه، وأهل المذهب: من يدين به، وأهل الإسلام: من يدين به، وأهل الأمر: ولاته، وأهل البيت: سكانه، وأهل الرجل: زوجه وأخص الناس به، وأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم: أزواجه وبناته وصهره^(١). والكتاب: كتبه كتبًا وكتابًا أي: خطه، وهو ما يكتب فيه، والدواة والتوراة والصحيفة والفرض والحكم والقدر^(٢).

ويراد به أيضًا الكتب السماوية، وحيثما ذكر في القرآن الكريم التركيب الإضافي ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ فإنما أريد بالكتاب التوراة والإنجيل، وكذلك إذا ذكر التركيب الإسنادي ﴿أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ أو (آتيناه الكتاب)^(٣).

وأهل الكتاب: «من يجتمعون حوله، والمراد اليهود والنصارى»^(٤).

أهل الكتاب اصطلاحًا:

هم اليهود والنصارى، ومن دان دينهم بفرقهم المختلفة، ومن عدا هؤلاء من الكفار فليس من أهل الكتاب؛ بدليل قول الله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَفَنَافِلِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٦]^(٥).

قال الشهرستاني: «الخارجون عن الملة الحنيفية والشرعية الإسلامية ممن يقول بشريعة وأحكام وحدود وأعلام، وهم قد انقسموا إلى من له كتاب محقق مثل التوراة والإنجيل، وعن هذا يخاطبهم التنزيل بأهل الكتاب، وإلى من له شبهة كتاب، مثل المجوس»^(٦).

(١) انظر: لسان العرب، ٢٨/١١، القاموس المحيط، الفيروزآبادي ص ٩٦٣، مقاييس اللغة، ابن فارس، ١٥٠/١.

(٢) القاموس المحيط، ص ١٢٨.

(٣) انظر: المفردات، ١/٧٠١، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، ص ٩٤٩ - ٩٥٠.

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٩٧.

(٥) انظر: المغني، ابن قدامة، ٩/٣٢٩.

(٦) الملل والنحل، الشهرستاني، ص ٢٤٧.

الصلة بين أهل الكتاب واليهود:

أهل الكتاب: هم أهل الديانات التي لها كتاب سماوي من يهود وهم أهل التوراة، ونصارى وهم أهل الإنجيل، فإذا اليهود بعض أهل الكتاب.

٢ بنو إسرائيل:

بنو إسرائيل اصطلاحًا:

إسرائيل لقب أطلق على يعقوب بن إسحاق عليهما السلام.

قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [آل

عمران: ٩٣].

وبنو إسرائيل ذرية يعقوب عليه السلام، وكانوا اثني عشر سبطًا.

قال تعالى: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾ [البقرة: ٢١١] ^(١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما في كلمة إسرائيل: معناه: (عبد الله)، لأن إسرا بمعنى: عبد،

وإيل: اسم الله، أي: إنه مركب من كلمتين: إسرا، وإيل، كما يقولون: بيت إيل ^(٢).

الصلة بين بني إسرائيل واليهود:

اليهود هم من بني إسرائيل ذرية يعقوب عليه السلام.

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٥١، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٩١ / ١.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٤٥٠ / ١.

ولقد عبر الإمام البغوي عن هذا التفضيل المذكور في الآية بقوله: «أي: عالمي زمانكم، وذلك التفضيل وإن كان في حق الآباء، ولكن يحصل به الشرف للأبناء»^(١).

ثانيًا: أنبياء بني إسرائيل وكتبهم:

أقام الله سبحانه وتعالى الحجة على الناس بأن أرسل الرسل؛ ليلغوا رسالته، وأنزل معهم الكتب لتبين للناس طريق الهدى والصلاح في الدنيا والآخرة.

يقول سبحانه: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

فلقد أنعم الله على بني إسرائيل بأن بعث فيهم رسلًا من أنفسهم ومن أبناء جلدتهم، ابتداءً بيعقوب ويوسف ومن بعدهم موسى وهارون وداود وسليمان وإلياس واليسع وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام جميعًا، فبلغوا رسالة ربهم لبني إسرائيل الذين بادروهم إما بالتكذيب وإما بالقتل.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كَلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].

ولقد ذكر الخازن في تفسيره: «قوله عز

نعم الله على بني إسرائيل

أنعم الله الكريم المنان على بني إسرائيل بنعم خصهم بها دون العالمين، وقوبلت هذه النعم بالجحود والاستكبار والفساد في الأرض، وتنوعت هذه النعم وتعددت، وسنذكر منها أربعا:

أولًا: التفضيل على عالمي زمانهم:

من النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل نعمة التفضيل على عالمي زمانهم، ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى في موضعين مختلفين من القرآن الكريم هذه النعمة، بقوله سبحانه: ﴿يَبْقَى إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧].

والتفضيل على العالمين هنا تفضيل مرهون بزمان معين، وليس في كل الأزمنة والعصور، كما أن التفضيل هنا أيضًا جاء مذكرًا لبني إسرائيل بشكل عام واليهود في المدينة بشكل خاص بهذه النعمة التي أنعم الله بها على آبائهم من قبل، لكي يعودوا إلى الحق والصواب، ولاتباع ما أنزل إليهم من ربهم بقبول دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والتفضيل على العالمين انتهى بسبب جحودهم وكفرهم ونقضهم للعهود وقتلهم للأنبياء، فكان الجزاء الغضب واللعنة على من كفر منهم.

(١) معالم التنزيل، البغوي ١/ ٩٠.

وَجَل: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

ثالثًا: النجاة من بطش فرعون وإهلاك عدوهم:

من نعم الله سبحانه وتعالى على بني إسرائيل أن أنجاهم مع سيدنا موسى عليه السلام من بطش فرعون وجنوده، ففرق الله بهم البحر فنجاهم وأغرق الله فرعون وجنوده.

يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَدْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ٥٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ [البقرة: ٥٩-٥٠].

والمتمامل في هاتين الآيتين يجد الوصف الرياني لبلاء بني إسرائيل من رب العالمين، حيث وصفه سبحانه بأنه بلاء عظيم، عظيم لما فيه من زيادة في العذاب، وليس أي عذاب، بل سوء العذاب، وهذا البلاء عظيم لما فيه من قتل وذبح للأبناء فلذات الأكباد، وحتى أمر استحياء النساء فيه بلاء عظيم أيضًا، لما تتكبده المرأة في حياتها من كدر وهم لفقدائها لابنها بالقتل والذبح.

وبعد أن وصف الله هذا البلاء بأنه عظيم بين سبحانه النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل، حين أنعم الله عليهم بمعجزة لم

وجل: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ يعني أخذنا العهود عليهم في التوراة بأن يعملوا بما فيها من التوحيد والعمل بما أمرناهم به والانتهاز عما نهيناهم عنه، ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا﴾ يعني لبيان الشرائع والأحكام ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ﴾ يعني: بما يخالف أهواءهم ويضاد شهواتهم من ميثاق التكليف والعمل بالشرائع، ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا﴾ يعني: من الرسل الذين جاءتهم، ﴿وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ يعني: من الرسل، فكان فيمن كذبوا عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، وكان فيمن قتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام، وإنما فعلوا ذلك نقضًا للميثاق وجراءة على الله عز وجل ومخالفة لأمره^(١).

أما الكتب التي أنزلت على بني إسرائيل فهي التوراة والزبور والإنجيل، ولقد قاموا بتحريف كتبهم وزوروا وكتبوها.

يقول سبحانه: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْفُرُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كُتِبَتْ أَيْدِيهِمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

ويقول سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا

(١) لباب التأويل ٢/ ٧٦.

يَحِلُّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ
لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ [طه: ٨٠-٨٢].

ونلاحظ من الآيات التي يذكر الله فيها بني إسرائيل بالنعم التي أنعمها عليهم أنه سبحانه يحذرهم من الفساد أو الطغيان، ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ فالنعم من الله تستوجب الحمد والشكر، ونعم الله على بني إسرائيل كانت لمساعدتهم على تحكيم شرع الله في أنفسهم وفي الأرض، ولإقامة الحجة عليهم بأن وفر لهم كل السبل التي تعينهم على ذلك.

رغم كل هذه النعم الواضحة البينة التي أنعم الله بها على بني إسرائيل وخصهم بها دون العالمين قابل كثير من بني إسرائيل تلك النعم بالجحود والإنكار والجدال والاستكبار، وانحرف كثير منهم انحرافات مقبنة في العقائد والسلوك والأخلاق.

[انظر: بنو إسرائيل: من نعم الله على بني إسرائيل]

تحدث إلا مرة واحدة في التاريخ، حيث فرق الله البحر وجعله فرقين كل فرق كالطود العظيم، وليس هذا فحسب بل أنعم الله عليهم بالنجاة، وبالسير بين الفرقين دون فرعون وقومه الذين طبق عليهم البحر فأغرقهم سبحانه وتعالى، كل ذلك وأنتم يا بني إسرائيل تشاهدون بأم أعينكم ما يحدث من نعم ومعجزات، ومع كل ذلك قابل كثير من بني إسرائيل هذه النعم بالجحود، فعبدوا العجل الذي صنعه لهم السامري، وخالفوا أمر ربهم ونبيه موسى عليه السلام.

رابعاً: تفجير ينابيع المياه لهم، وإنزال المن والسلوى عليهم:

من النعم التي خص الله بها بني إسرائيل أن فجر لهم من الحجر ماءً نقياً؛ ليشربوا منه من بعد الظمأ، وأن الله أنزل عليهم المن والسلوى بعد أن نجاهم من فرعون وجنوده.

يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَ نَافِثَةً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

ويقول سبحانه: ﴿يَتَّبِعْ إِسْرَءِيلَ قَدْ أَجْمَعْنَاكَ مِنْ عِدْوِكَ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَ وَالسَّلْوىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن

انحرافات اليهود

بين الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز الانحرافات والضلالات التي اتصف بها اليهود، سواء كانوا من نسل بني إسرائيل أو ممن تهود معهم، كما أن هناك آيات أخرى تحدثت مباشرة عن انحرافات اليهود الذين عاصروا النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

أولاً: انحرافات في العقيدة:

١. قولهم: إن الله فقير.

لم يكتف اليهود بالتجرؤ على أنبيائهم فحسب، بل بلغ الكبر والغرور فيهم أن قالوا في حق الله ما لا يليق به سبحانه وتعالى، ونعتوه بالفقر، سبحانه وتعالى عما يقولون، فهو الغني الكريم الجواد جل في علاه، ولقد أخبر الله سبحانه في كتابه عن سماعه لما افتراه اليهود بقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَكَتْنَاهُمْ مَا قَالُوا وَقَتَلْنَاهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

ذكر البيضاوي في تفسيره لهذه الآية: قالت اليهود لما سمعوا ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وروي «أنه عليه الصلاة والسلام كتب مع أبي بكر رضي الله تعالى عنه إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإقام

الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن يقرضوا الله قرضًا حسنًا، فقال فنحاص بن عازوراء: إن الله فقير حتى سأل القرض. فلطمه أبو بكر رضي الله عنه على وجهه، وقال: لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك. فشكاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله، فنزلت ﴿١﴾ (٢).

٢. قولهم: يد الله مغلولة.

أي جراءة تجرأ بها هؤلاء؟! وأي وقاحة وصلوا إليها بتجرئهم على الله سبحانه وتعالى، وبأبشع الأوصاف وأقبحها؟! كل هذا من أجل المال والنفقة، لقد تسرب حب المال في عروقهم، وتشبعت نفوسهم بالبخل والشح، فأخذوا يلقون التهم على الله سبحانه وتعالى الكريم المنان.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِمَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُفِينَا وَكُفِّرْ وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

ذكر الإمام الطبري في تفسيره عن معنى الآية فقال: «عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٤/ ١٩٤.

(٢) أنوار التنزيل، البيضاوي ١/ ٣١٧.

سبحانه الآية بأن بين طبيعة هؤلاء اليهود التي لا ينفكون عنها، وهي: ﴿وَسَعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ فلذلك الله لا يحبهم؛ لأن الله لا يحب المفسدين.

٣. قولهم: عزيز ابن الله.

استحق اليهود القتال من الله، وذلك بافترائهم على الله عز وجل الذي لم يلد ولم يولد، فافتروا عليه بأن عزيزاً ابن الله، وعزيز هو خبر من أخبار بني إسرائيل أوتي حفظ التوراة وعلمها.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِي قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَتَلْنَاهُمُ اللَّهُ أَنْ يَوْفَى كُوتَ﴾ [التوبة: ٣٠].

ذكر الطبري في تفسيره عن سبب نزول الآية: «واختلف أهل التأويل في القائل: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾، فقال بعضهم: كان ذلك رجلاً واحداً، هو فنحاص، ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾، قال: قالها رجل واحد، قالوا: إن اسمه فنحاص، وقالوا: هو الذي قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾. وقال آخرون: بل كان ذلك قول جماعة منهم، ذكر من قال ذلك: حدثنا أبو

أَيُّوبَهم وَلُؤْمَايَا قَالُوا﴾، قالوا: ليس يعنون بذلك أن يد الله موثقة، ولكنهم يقولون: إنه بخيل أمسك ما عنده، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً»^(١).

يقول سيد قطب «وقد بلغ من غلظ حسهم وجلافة قلوبهم ألا يعبروا عن المعنى الفاسد الكاذب الذي أرادوه وهو البخل بلفظه المباشر، فاختروا لفظاً أشد وقاحةً وتهجماً وكفراً، فقالوا: يد الله مغلولة! ويجيء الرد عليهم بإحقاق هذه الصفة عليهم، ولعنهم وطردهم من رحمة الله جزاء على قولهم: ﴿عُكَّتْ أَيُّوبَهم وَلُؤْمَايَا قَالُوا﴾ وكذلك كانوا، فهم أبخل خلق الله بمال»^(٢). كما جاء الرد على بهتانهم وكفرهم سريعاً بقوله سبحانه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، فالله سبحانه وتعالى هو الكريم الجواد المنعم الوهاب، ينفق ما يشاء لمن يشاء وكيف يشاء.

كما بين الله سبحانه وتعالى أنه كلما أنزل على رسوله شيئاً من القرآن ازداد هؤلاء المفترون من اليهود طغياناً وكفراً، كما عاقبهم الله سبحانه بأن ألقى العداوة والبغضاء بينهم إلى يوم القيامة.

كما تعهد الله تعالى بأنه سيطفئ كل نار للحرب أراد اليهود أن يوقدوها، وختم

(١) جامع البيان ٤٥٢/١٠.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ٩٢٩/٢.

وَالطَّغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ [النساء: ٥١-٥٢].

وعن سبب نزول هذه الآية يذكر الطبري في تفسيره: «عن قتادة قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ الآية، قال: ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت في كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب ورجلين من اليهود من بني النضير لقياً قريشاً بموسم^(٣)، فقال لهم المشركون: أنحن أهدى أم محمد وأصحابه فإننا أهل السدانة والسقاية، وأهل الحرم؟ فقالوا: لا، بل أنتم أهدى من محمد وأصحابه! وهما يعلمان أنهما كاذبان، إنما حملهما على ذلك حسد محمد وأصحابه»^(٤).

فهكذا هم اليهود، من شدة كرههم وحقدهم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه آمن اليهود بالجبت والطاغوت وأقروا المشركين على شركهم نكايَةً واستكباراً، فاستحقوا بذلك لعنة الله عليهم وغضبه.

٥. عداوتهم لجبريل عليه السلام.

من فرط الحقد الذي يكنه اليهود للرسول صلى الله عليه وسلم والعداوة التي عاودها

(٣) الموسم: مجتمع الناس، في سوق أو في حج أو غيرهما.

(٤) جامع البيان ٨/ ٢٧٠.

كريب قال: حدثنا يونس بن بكير قال: حدثنا محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال، حدثني سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشأس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف تتبعك وقد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعم أن عزيزاً ابن الله؟! فأنزل في ذلك من قولهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾، إلى ﴿إِن يُّؤْفِكُوكَ﴾^(١).

وهناك قول ثالث ذكره الرازي في تفسيره حيث قال: «والقول الثالث: لعل هذا المذهب كان فاشياً فيهم ثم انقطع، فحكى الله ذلك عنهم، ولا عبرة بإنكار اليهود ذلك، فإن حكاية الله عنهم أصدق»^(٢).

٤. إيمانهم بالجبت والطاغوت.

وهذا كفر بواح، ونفاق كبير، آمنوا بعبادة الأوثان والشیطان من دون الله، وفضلوا المشركين الكافرين على المؤمنين، وهم يعلمون علم اليقين بما آتاهم الله من الكتاب من هم الذين أهدى سبيلاً وطريقاً إلى الله.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ

(١) جامع البيان ١٤/ ٢٠١-٢٠٢.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ١٦/ ٢٧-٢٨.

بما سيأتي من بعدهم من الكتب السماوية، إلا أنهم يخالفون هذا الأمر ويكفرون بتلك الكتب، ذكر الطبري معقبا على الآية: «وإنما قال جل ثناؤه: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾» لأن كتب الله يصدق بعضها بعضا، ففي الإنجيل والقرآن من الأمر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم والإيمان به وبما جاء به مثل الذي من ذلك في تورا موسى عليه السلام»^(٢).

ولقد جاء الاستفهام الاستنكاري من الله عز وجل، ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تدعون الإيمان وتدعون أنكم تؤمنون بما أنزل عليكم من التوراة ومع ذلك تقومون بقتل أنبياء الله الذين أرسلوا إليكم مصدقين لما جاءكم في التوراة وعاملين بتعاليمها!

ثانياً: انحرافات في الأخلاق والسلوك:

النوع الثاني من الانحرافات بعد تلك الانحرافات العقائدية هي الانحرافات الأخلاقية والسلوكية:

انحرافات اليهود الأخلاقية والسلوكية:

١. حسدهم للمسلمين.

النعمة التي تمنى اليهود زوالها من عند المسلمين هي نعمة الإسلام والهداية، فأكثر اليهود يعلمون علم اليقين أن هذا الدين دين

له عليه الصلاة والسلام أن عادوا جبريل عليه السلام أيضاً الذي بدوره أنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بإذن ربه.

يقول الله تعالى في حق اليهود: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٧-٩٨].

وهذه الآيات تخص اليهود، فلقد ذكر الطبري في تفسيره: «أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً على أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم»^(١)، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لذا فمن كان من اليهود أو غير اليهود عدواً لله أو أحد من ملائكته أو رسله فإن الله عدو له.

٦. إنكارهم لإنزال الكتب والكفر بها.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَأْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَنَكْفُرُ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١].

وهذا تناقض عجيب من اليهود، إذ يقولون أنهم يؤمنون بما أنزل إليهم من التوراة، ومع أن التوراة تأمرهم بأن يؤمنوا

(١) جامع البيان ٢/ ٣٧٧.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٣٥٠.

حق، وأن هذا الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين، ولكنهم لم يتوقعوا أن يكون من غير ملتهم أو طائفهم. قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَمُوا وَاصْطَفُوا حَقَّ يَأْتِي اللَّهُ بِأَخْرُجَةٍ إِنْ أَلَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وعن سبب نزول هذه الآية يذكر الإمام الطبري في تفسيره: «عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسداً، إذ خصهم الله برسوله صلى الله عليه وسلم، وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا، فأنزل الله فيهما: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾»^(١).
٢. حرصهم على إضلال المؤمنين.

لقد حرصت طائفة من أهل الكتاب على أن يردوا المسلمين عن دينهم وأن يخرجوهم عن ملة الإسلام، حتى لو كان هذا الخروج فيه شرك بالله، ولا زالت هذه الأمنية باقية إلى عصرنا هذا، فمكايد اليهود ومن دخل بدائرهم من النصارى ترمي إلى إبعاد المسلمين عن دينهم، وإضلالهم، سواءً بالحملات التنصيرية أو بالإعلام

الهابط الذي ييئس سموه وأفكاره الهدامة للفرد والمجتمع.

قال تعالى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران: ٦٩].

ولقد أبدع سيد قطب في تعليقه على هذه الآية بقوله: «وهذه الرغبة القائمة على الهوى والحقد والشر ضلال لا شك فيه، فما تنبعث مثل هذه الرغبة الشريرة الآثمة عن خير ولا عن هدى، فهم يوقعون أنفسهم في الضلالة في اللحظة التي يودون فيها إضلال المسلمين، فمن يحب إضلال المهتدين إلا ضال يهيم في الضلال البهيم»^(٢).

٣. كتمانهم لما أنزل الله.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

توعد الله سبحانه وتعالى العلماء الذين يكتُمون ما أنزل الله، ومع أن الآية نزلت في علماء اليهود والنصارى إلا أنها وبمفهومها الشامل تشمل كل عالم «ولو كان مسلماً» يكتُم ما وهبه الله من علم بكتابه.

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ

(٢) في ظلال القرآن ١/ ٤١٤.

(١) المصدر السابق ٢/ ٤٩٩.

الَّذِينَ يُكْفَرُونَ [البقرة: ١٥٩].

وإن من أعظم ما أخفاه وكتمه علماء اليهود والنصارى في كتبهم أمر التبشير برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا فعلٌ شنيع استوجب لعنة الله عليهم ولعنة اللاعنين.

يقول الإمام الطبري: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَرْكَأْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾، علماء اليهود وأجبارها وعلماء النصارى، لكتمانهم الناس أمر محمد صلى الله عليه وسلم وتركهم اتباعه وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل^(١).

٤. أخذهم الربا وأكلهم أموال الناس بالباطل.

قال تعالى: ﴿فَيُظَاهِرُ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أُحْلَتْ لَهُمْ وَبَصَدَهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٠-١٦١].

في هاتين الآيتين الكريمتين عقابان للذين هادوا، أحدهما في الحياة الدنيا والآخر في الحياة الآخرة، ففي الدنيا شمل العقاب كل الذين هادوا بتحريم طيبات من الطعام كان لهم حلالاً، وفي الآخرة سيكون العقاب للكافرين من الذين هادوا بأن أعد الله لهم عذاباً أليماً، وما هذان العقابان

إلا لما اقترفوه من آثام وذنوب، فقد ظلموا أنفسهم بنقضهم للعهود والمواثيق مع الله، وظلموا أنبياءهم بالكذب والعصيان، كما صدوا أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله كثيراً، واستحلوا الربا وهو عليهم محرم، وأكلوا أموال الناس، وتعبير الأكل دليل النهم والطمع المتأصل فيهم، فلقد استباحوا أموال الناس وممتلكاتهم بالباطل والعدوان.

وقال تعالى: ﴿وَرَبَّى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٢-٦٣].

فكثير من أهل الكتاب وليس قليلهم يفعلون ذلك، وهم يسارعون ويتسابقون في الإثم والعدوان وأكل كل مال حرام، سواء بالسرقة أو الرشوة أو الربا، يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي «والمعنى: إن هؤلاء اليهود دأبهم المسارعة إلى اقتراف الآثام وإلى أكل المال الحرام، فهلا ينهاهم علماؤهم عن هذه الأقوال الكاذبة الباطلة، وعن تلك المأكلة الخبيثة التي أكلوها عن طريق السحت»^(٢).

ولقد طال التوبيخ من الله علماء النصارى واليهود؛ لامتناعهم عن الأمر بالمعروف

(٢) التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي ٢١٢/٤.

(١) جامع البيان ٣/ ٢٤٩.

والنهي عن المنكر، وعلمهم بأن ما يفعله هؤلاء لا يرضي الله سبحانه وتعالى.

والربا وأكل أموال الناس عقيدة راسخة عند اليهود بالذات، فلقد جاءت تعاليم التلمود بذلك، بالنص الآتي: «غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنيبي إلا بالربا»^(١).

وأمر تعامل اليهود بالربا امتد إلى عصرنا الحاضر، متمثلاً بالبنوك الربوية التي يسيطر عليها اليهود في العالم، ويتحكمون من خلالها بالاقتصاد العالمي.

٥. حرصهم على الحياة.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١٦﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْا أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ١٧ وَلَنَجْذِثُنَّهُمْ أَعْرَضَ النَّاسُ عَلَى حَيَوتِهِمْ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَئِذٍ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَزَّزٍ مِنْهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٤-٩٦].

ذكر ابن الجوزي في تفسيره عن هذه الآيات: (قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ كانت اليهود تزعم أن الله تعالى لم يخلق الجنة إلا لإسرائيل وولده، فنزلت هذه الآية، ومن الدليل على علمهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم صادق أنهم ما تمنوا الموت، وأكبر الدليل على صدقه

أنه أخبر أنهم لا يتمنون به بقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْا﴾ فما تمناه أحد منهم، والذي قدمته أيديهم: قتل الأنبياء وتكذيبهم، وتبديل التوراة^(٢).

ومع أن المشركين لا يؤمنون بالآخرة، ويعتبرون حياتهم الدنيا هي الحياة، ولا حياة بعدها، ومع ذلك تجد هؤلاء اليهود هم أشد حرصاً منهم، بل هم أشد الناس حرصاً على حياة، وأي حياة تلك؟ لا يهم، المهم أنها حياة، بغض النظر عن کیفیتها أو صعوبتها، المهم أنها حياة، وهذا الحرص يفاجئك للوهلة الأولى، وخصوصاً أنهم يؤمنون بأن هنالك حياة أخرى، ولكن تلك المفاجأة تزول عند التأمل بما اقترفه هؤلاء من قتلهم للأنبياء وتكذيبهم لهم، ومن تجرئهم على الله، وغيرها من الأعمال المهينة التي ارتكبوها.

٦. جبنهم عند اللقاء في الحرب.

يقول الله سبحانه وتعالى في حق أهل الكتاب: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُولُوكُمْ الْأَذْدَارُ ثُمَّ لَا تُصْرَفُونَ﴾ [آل عمران: ١١١].

ويوضح الدكتور محمد سيد طنطاوي معنى الآية بقوله: «والمعنى: إن أهل الكتاب لن يضرروكم يا معشر المؤمنين إلا ضرراً يسيراً لا يبقى أثره فيكم ما دمتم مستمسكين

(١) اليهودية، أحمد شليبي ص ٢٦٩.

(٢) زاد المسير، ابن الجوزي ١/ ١١٦.

٧. تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى.

قال تعالى: ﴿لَا يُقْبَلُ مِنْكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَثَةٍ جَدْرٍ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ سَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي: «والجدر» جمع جدار، وهو بناء مرتفع يحمى به من يقاتل من خلفه، و﴿جَمِيعًا﴾ بمعنى مجتمعين كلهم، أي أن هؤلاء اليهود وحلفاءهم من المنافقين لا يقاتلونكم مجتمعين كلهم في موطن من المواطن إلا في قري محصنة بالخنادق وغيرها، أو يقاتلونكم من وراء الجدران التي يتسترون

بدينكم، فإن قاتلوكم وأنتم على هذه الحال أمدكم الله بنصره، وألقي في قلوبهم الرعب فيولونكم الأدبار انهزاما منكم، ثم لا ينصرون عليكم بل تنصرون أنتم عليهم^(١).

فلقد عاش المسلمون ذلك في صراعهم مع أهل الكتاب، وخاصة ما تعلق الأمر منه بقتال اليهود، فيهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة قد ولوا الأدبار في المدينة في عصر النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك فعل يهود خيبر، وفي أيامنا هذه يتكرر الأمر عندما يكون هناك عقيدة راسخة مؤمنة بالله وبنصره في مواجهة اليهود^(٢).

(١) التفسير الوسيط ٢/ ٢١٧-٢١٨.

(٢) فمع كل ما يمتلكه اليهود من معدات وتجهيزات تقنية وعسكرية لم يتمكن اليهود من الانتصار على أهل فلسطين في غزة وفي مرتين مختلفتين:

الأولى: ففي ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨م شن الاحتلال الصهيوني اليهودي حربه التي أسماها الرصاص المصبوب والتي استخدم فيها كل أنواع الأسلحة، بما فيها الأسلحة الفسفورية التي تصيب بحروق مؤلمة وقاتلة، ضد شعب أعزل وبحاجة ضرب المجاهدين والقضاء عليهم، ولكن خيب الله ظنهم، وحربهم، فصمد المجاهدون الوثائق بنص الله، ومن ورائهم الشعب الصامد المتكلم على الله، وأسماها هذه الحرب بحرب «الفرقان» أسوة بالغزوة الأولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم «غزوة بدر» ١، وبعد ٢٢ يومًا من القصف والعدوان جر العدو ذيله خاسيًا منهزمًا بتوفيق من الله ثم بصمود المجاهدين الأبطال الذين أطلقوا قرابة الألف صاروخ وقذيفة ضد الأعداء، وقتلوا منهم

قرابة الخمسين قتيلًا، مع الإشارة بأن الأذى الذي أصيب به الشعب الصامد كان ثقيلًا نوعًا ما، لكنه في سبيل الله يهون، فلقد سقط قرابة ١٥٠٠ شهيد، و قرابة ٥٥٠٠ مصاب، ومع هدم لعدد من البيوت والمساجد.

الثانية: فكانت في ١٤ نوفمبر ٢٠١٢ والتي أطلق عليها المجاهدون حرب «حجارة السجيل»، والتي سقط فيها قرابة ١٦٠ شهيدًا، وقرابة ١٢٠٠ مصاب خلال ثمانية أيام فقط، ولكن رد المجاهدين كان منزلًا، فلقد قصفت كتائب القسام لأول مرة في تاريخ الصراع مع المحتل مدينة «تل أبيب» وموقعًا صهيونيًا آخر في مدينة القدس المحتلة بصواريخ بعيدة المدى، كما قصف المجاهدون الأبطال مئات القذائف الصاروخية التي لم تتوقف منذ بدء العدوان، كما استهدفوا طائرات وبارجات حربية أيضًا.

المصدر: الموقع الإلكتروني للمركز الفلسطيني للإعلام.

﴿الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

وتعقياً على هذه الآية يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي عن اليهود: «ويكتشف الكون كل فترة من الزمن أن الفساد الذي فيه إنما هو بسبب هؤلاء الناس وبسبب مكائدهم، لذلك يصيبهم الحق بالكوارث كل فترة من الزمن؛ لأنهم يسعون في الأرض فساداً، وهذا السعي في الأرض بالفساد إنما يأخذ صوراً متعددة، مرة يأخذ شكل النظريات العلمية، ومرة يأخذ شكل التطرف في الأنظمة السياسية من رأسمالية شرسة أو شيوعية شرسة، وكل ذلك تخريب لحياة الناس»^(٢).

من طباع اليهود الدنية إشعال الحروب بين الناس، فلا تهنأ لهم نفس أن يروا الناس متحابين ومتراحمين، ولا تقرر لهم عين أن تكون الأرض مستقرة دون حروب وفتن، ولقد شهد التاريخ عليهم بذلك، فلقد أشعل اليهود الفتن والحروب بين الأوس والخزرج في المدينة قبل البعثة، كما أن التاريخ المعاصر يشهد عليهم أيضاً.

فهذا هتلر الزعيم الألماني في القرن الماضي يقول عنهم: «فلقد أثبتت لي الأيام أنه ما من عملٍ مخالفٍ للأخلاق وما من جريمة بحق المجتمع إلا ولليهود يد

بها؛ لأنهم يعجزون عن مبارزتك، وعن مواجهتك وجهاً لوجه، لفرط رهبتهم منك، وقوله تعالى: ﴿بِأَسْهَمٍ يَبْتَلِهُمُ شَدِيدًا﴾ جملة مستأنفة، كأن قائلًا قال: ولماذا لا يقاتلون المؤمنون إلا على هذه الصورة؟

فكان الجواب: بأسهم بينهم شديد، أي: عداوتهم فيما بينهم عداوة شديدة، بحيث لا يتفقون على رأي، وقوتهم يستعملونها فيما بينهم استعمالاً واسعاً، فإذا ما التقوا بكم تحولت هذه القوة إلى جبن وهلع^(١).

أما أمر قتالهم في القرى المحصنة أو من وراء جدر فهو أمر واقع ومشهود في زماننا هذا، فاليهود في فلسطين قد أقاموا جداراً عنصرياً فاصلاً طويلاً، يبلغ طوله ٧٠٠ كيلومتر، يفصل بين الضفة الغربية وبين الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨، والحجة في بنائه هو حماية دولتهم المحتلة، وحماية مواطنيها المغتصبين من هجمات المجاهدين.

٨. يسعون في الأرض فساداً.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَنَزِدَنَّ كَيْدَهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُفَيْنًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ

(٢) تفسير الشعراوي ٦/٣٢٧٢.

(١) التفسير الوسيط ١٤/٣٠٤-٣٠٥.

فيها»^(١).

٩. أشد الناس عداوة للمؤمنين.

قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيكَ ذَلِكَ يَأْتِي مِنْهُمْ قِيسِيًّا وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

لكل نبي أعداء، ولكل دعوة حق أعداء، كما للذين آمنوا أعداء أيضًا، فهم على الحق، وعلى منهج الأنبياء والرسل عليهم السلام، وأعداء الذين آمنوا كثر، وأشد هؤلاء الأعداء عداوة للمؤمنين هم اليهود والذين أشركوا، فاليهود هم قتلة الأنبياء وأعداء الحق، وخاصة الحق الذي جاء مع نبي من غير بني إسرائيل، فهم له أشد عداوة وبغضا، ولما يمثلهم المؤمنون من قوة تحول دون أن يحقق هؤلاء اليهود مطامعهم التي لا تنتهي سياسيا وجغرافيا واقتصاديا.

والتاريخ يشهد على مظاهر العداة التي يكنها اليهود للمسلمين، وسأذكر منها:

❖ إنكارهم لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ومحاربتهم له، ومحاولتهم قتله أكثر من مرة.

❖ التعاون مع المنافقين في المدينة على

حوك الخطط والمكائد ضد المسلمين.

❖ تظاهرهم بالدخول في الإسلام نفاقًا، قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفُّواْ عَنِّيْزِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢].

❖ نقضهم للعهود والمواثيق مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين في المدينة ثلاث مرات.

❖ دور مدعي الإسلام اليهودي عبد الله ابن سبأ في إثارة الفتن والعداء بين المسلمين.

❖ محاولة تزيف التاريخ الإسلامي، ودس بعض الأساطير الإسرائيلية فيه.

❖ محاولة الاستيلاء على بيت المقدس في عصر الخلافة العباسية.

❖ المساهمة في الدعم المادي والمعنوي للصليبيين في أثناء الحروب الصليبية ضد المسلمين.

❖ تزويد التتار بالمعلومات والأسرار، ومساعدتهم في إسقاط الخلافة العباسية.

❖ تجرؤهم على الطعن في القرآن الكريم، كالوزير اليهودي في غرناطة «يوسف بن شموئيل».

❖ ادعاء الإسلام علناً والكيد له بالخفاء، كيهود الدونمة الذين أسهموا في

(١) كفاحي، أودلف هتلر، المترجم: لويس الحاج ص ٤١-٤٢.

سقوط الخلافة العثمانية.

✽ احتلال أراضي المسلمين والمسجد الأقصى المبارك.

✽ تشويه صورة الإسلام والمسلمين في العالم عبر وسائل الإعلام المختلفة.

١٠. قتل بعضهم بعضاً.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقَرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (٨٤) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ تَبْطِغُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْتَرَى تَقْتُلُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْهِ أَسَدُّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٤-٨٥].

اليهود لا عهد عندهم ولا ميثاق، ولو كان ذلك مع الله سبحانه وتعالى، فهام اليهود في موضع جديد من نقض العهد والميثاق، ينقضون عهدهم الذي واثقوه وشهدوا عليه، بقتلهم أنفسهم، بعد أن أقروا بميثاق عدم سفك دماء بعضهم بعضاً، لكن بأسهم بينهم شديد.

يقول ابن كثير في تفسيره: «يقول -تبارك وتعالى- منكراً على اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه

وسلم بالمدينة، وما كانوا يعانونه من القتال مع الأوس والخزرج، وذلك أن الأوس والخزرج - وهم الأنصار - كانوا في الجاهلية عباد أصنام، وكانت بينهم حروب كثيرة، وكانت يهود المدينة ثلاث قبائل: بنو قينقاع، وبنو النضير: حلفاء الخزرج، وبنو قريظة: حلفاء الأوس، فكانت الحرب إذا نشبت بينهم قاتل كل فريق مع حلفائه، فيقتل اليهودي أعداءه، وقد يقتل اليهودي الآخر من الفريق الآخر، وذلك حرام عليهم في دينهم ونص كتابهم، ويخرجونهم من بيوتهم، وينهبون ما فيها من الأثاث والأمتعة والأموال، ثم إذا وضعت الحرب أوزارها استفكوا الأسارى من الفريق المغلوب عملاً بحكم التوراة.

ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ﴾ أي: لا يقتل بعضكم بعضاً، ولا يخرج من منزله، ولا يظهر عليه» (١).

رأينا إذاً كيف أن اليهود قد انحرفوا انحرافات كبيرة في العقائد والسلوك والأخلاق، وستتطرق في المبحث الرابع لتلك التحريفات التي طالت كتاب الله الذي أنزل إليهم، سواء كانت تلك التحريفات

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٢١٠-٢١١.

تحريفات اليهود

تحريفات كتابية، أو تحريفات شفوية
منطوقةً باللسان.

لقد تمادى اليهود بالتحريف والتبديل والتزوير في كل شيء، ولم يسلم كتاب الله الذي أنزل عليهم من تحريفهم وتزويرهم، فغيروا من التوراة ما يناسب أهواءهم الفاسدة، فكان تحريفهم بطرق عدة، منها: كتمان ما لا يناسب أهواءهم، وكتابة ما يحلو لهم ونسبته إلى الله، وتقولهم على الله بهتاناً وزوراً، وتحريم ما لم يحرمه الله عليهم، ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى أن فريقاً منهم يقومون بتحريف كلام الله من بعد ما سمعوه وفهموه وعقلوه، ﴿أَفَنظَمُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

١. تحريف كلام الله عن مواضعه.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَكِّرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَابِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِهِمْ قُلُوبَهُمْ هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿المائدة: ٤١﴾.

الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم على وجه التسلية والإخبار عن المنافقين واليهود، اليهود الذين سبق وأن بينا ما ذكر عنهم في آية سابقة بأنهم يسارعون في الإثم والعدوان، وهامهم في هذه الآية يبين الله سبحانه وتعالى أنهم يسارعون في الكفر، وهكذا هم اليهود يسارعون في الأعمال القبيحة بخلاف المؤمنين الذين يسارعون في الخيرات دائماً، ومن أعمال الكفر التي سارع بها اليهود تحريفهم للتوراة وتبديلهم لبعض الكلمات حتى يوافق النص هواهم.

ويقول الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿المائدة: ١٢-١٣﴾.

أخذ الله العهد والميثاق من بني إسرائيل

لئن أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وآمنوا برسول الله ونصروهم وأنفقوا في سبيل الله ليجزيهم الله بذلك جنات تجري من تحتها الأنهار بعد أن يكفر الله عنهم ذنوبهم، ولكن كثيراً من بني إسرائيل نقض العهد والميثاق مع الله، فحرفوا كتاب الله التوراة، وبدلوا بعض كلماته، تزويراً وبهتاناً، ونسوا أو تناسوا جزءاً من عهد الله معهم، فلم يؤمن اليهود سواء الذين عاصروا البعثة أو من جاء بعدهم برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

ومعنى ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ أي: فيقدمون ويؤخرون ويحذفون بعض الكلام، ويؤولون معانيه لتوافق أهواءهم، ومن ذلك تأويلهم الآيات الدالة على نبوة كل من عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم في التوراة.

٢. كتابة كتب من عند أنفسهم ثم نسبتها إلى الله.

من تحريفهم لكتاب الله أن يكتبوا كتباً من عند أنفسهم تتناسب مع أهوائهم، ويجنون من ورائها أثماناً وأموالاً، والأخطر من ذلك كله هو نسبتها إلى الله سبحانه وتعالى، فيقولون للناس: هو من عند الله.

قال تعالى: ﴿قَوِيلٌ لِّلَّذِينَ يَكْنُتُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوِيلٌ لَهُمْ مِمَّا

كَتَبْتُ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾

[البقرة: ٧٩].

ذكر الله الويل ثلاث مرات في هذه الآية، والويل: واد في جهنم^(١)، أو العذاب والهلاك كما في لغة العرب.

فلقد توعد الله علماء ورؤساء اليهود الذين يكتبون التوراة بأيديهم ويدعون بعد ذلك أنها من عند الله وما هي من عند الله، ويقولون على الله الكذب، قال الخازن: «والمراد بالذين يكتبون الكتاب «اليهود»، وذلك أن رؤساء اليهود خافوا ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، فاحتالوا في تعويق سفلتهم عن الإيمان به، فعمدوا إلى صفته في التوراة فغيروها، وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر أكحل العينين ربعة، فغيروا وكتبوا مكانه طوال أزرق العينين سبط الشعر، فكانوا إذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرءوا عليهم ما كتبوا ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^(٢).

وكان اليهود يبيعون هذا الكلام الذي كتبه بأيديهم لغيرهم، وخاصة للمشركين من العرب، فلقد ذكر الطبري في تفسيره: «كان ناس من اليهود كتبوا كتاباً من عندهم، يبيعون من العرب ويحدثونهم أنه من عند

الله؛ ليأخذوا به ثمنًا قليلاً»^(٣).

٣. قولهم: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا.

من الغرور الذي وصل إليه اليهود أن تمنوا على الله الأماني، وجعلوا تلك الأماني حقائق لا بد أن تقع، فكان من آمانياتهم ما ذكره الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ آمَانِيُهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

تحدى الله كلاً من اليهود والنصارى بأن يأتوا بحججهم وإثباتاتهم التي تثبت كلامهم هذا، حيث ادعى اليهود بأنه لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًا، وادعى النصارى أيضًا أنه لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيًا، وما كان هذا إلا أماني وأوهامًا يعيشونها، فلا برهان لديهم ولا دليل، فאלله سبحانه وتعالى قد وعد كل من أسلم وجهه لله وأذعن وانصاع لأمر الله بأن له الأجر والثواب من الله، فالجنة لا يستحقها الناس بانتماءاتهم فقط، فالتسليم لله والإحسان والعمل الصالح هي سبيل الجنة، بعد رحمة رب العالمين.

٤. قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ هُنَّ آَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا اللَّهَ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ

(١) روح المعاني، الألويسي ٣٥٩/١.

(٢) لباب التأويل ٧٧/١.

(٣) جامع البيان ٢/٢٧٠.

يَذُنُّوْكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ [المائدة: ١٨].

الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود إلى دين الإسلام، وخوفهم بعقاب الله تعالى، فقالوا: كيف نخوفنا بعقاب الله ونحن أبناء الله وأحباؤه؟! فهذه الرواية^(١) إنما وقعت عن تلك الطائفة.

وأما النصارى فإنهم يتلون في الإنجيل أن المسيح قال لهم: أذهب إلى أبي وأبيكم. وقيل: أرادوا أن الله تعالى كالأب لنا في الحنو والعطف، ونحن كالأبناء له في القرب والتمزلة^(٢).

وجاء الرد على ذلك الادعاء بأن يسألهم النبي صلى الله عليه وسلم ﴿قَدْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ؟﴾، سواء العذاب الذي ذاقه آباؤكم من قبل في الدنيا، أو الذي تذوقونه أنتم من نفي وقتل وأسر، أو الذي سينالكم يوم القيامة، كما أنكم بشرٌ كباقي البشر، والله وحده بيده الأمر يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء.

وهذا من غرور اليهود والنصارى أيضًا، فبعد أن بينا ادعاء كل منهما بأنه لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًا أو نصرانيًا هاهم يدعون أيضًا بأنهم أبناء الله وأحباؤه. يقول ابن عادل في تفسيره: «واعلم أن اليهود والنصارى لا يقولون ذلك، فلهذا ذكر المفسرون وجوهاً:

أحدها: أن هذا من باب حذف المضاف، أي: نحن أبناء رسل الله، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠].

الثاني: أن لفظ الابن كما يطلق على ابن الصلب قد يطلق أيضًا على من يتخذ أبناء، بمعنى تخصيصه بمزيد الشفقة والمحبة، فالقوم لما ادعوا عناية الله بهم ادعوا «أنهم أبناء لله».

الثالث: أن اليهود زعموا أن العزيز (ابن الله)، والنصارى زعموا أن المسيح ابن الله، ثم زعموا أن العزيز والمسيح كانا منهم كأنهم، قالوا: نحن أبناء الله. ألا ترى أن أقارب الملك إذا فاخروا أحدًا يقولون: نحن ملوك الدنيا. والمراد كونهم مختصين بالشخص الذي هو الملك، فكذا هاهنا.

الرابع: قال ابن عباس: إن النبي صلى

(١) عن ابن عباس قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان بن أضاء وبحري بن عمرو وشأس بن عدي، فكلموه، فكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته، فقالوا: ما نخوفنا يا محمد!! نحن والله أبناء الله وأحباؤه!!، كقول النصارى، فأنزل الله جل وعز فيهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَةُ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ﴾، إلى آخر الآية.

انظر: جامع البيان، الطبري ١٠/١٥١. (٢) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٧/٢٦٢-٢٦٣.

٥. قولهم: لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة. ظن اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه، فأصابهم الغرور والكبر، فتوهموا بأنهم لن يدخلوا النار إلا أيامًا معدودة وسيحاسبون فيها حسابًا يسيرًا، فغرهم هذا الوهم إلى أن يكتبوا الكتاب بأيديهم، ثم يقولون: إنه من عند الله كما غر الوهم فريقًا منهم حين دعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم فأعرضوا عنه وتولوا.

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى ادعاءهم هذا بأن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودة أو معدودات في موضعين مختلفين، ففي سورة البقرة آية رقم ٨٠ وفي سورة آل عمران آية رقم ٢٤.

واللافت للنظر أنه قد سبق كل آية من الآيتين السابقتين آية توضح إثما كبيرًا وفعلًا شنيعًا اقترفوه، فجاء التبرير لهذا الإثم والفعل بقولهم أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودة أو معدودات.

ففي سورة البقرة قال سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسُوا بِهِمْ شَرًّا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَانَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٧٩) وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُمْ أَمْ قَوْلُكُمْ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٩-٨٠].

ذكر الواحدي في أسباب النزول: «عن ابن عباس، قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، واليهود تقول: إنما هذه الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الناس في النار لكل ألف سنة من أيام الدنيا يومًا واحدًا في النار من أيام الآخرة، وإنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾» (١).

وفي سورة آل عمران قال سبحانه: ﴿تَرَى إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (١٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً وَغَرَّمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣-٢٤].

يبين الله سبحانه وتعالى موقف فريق من الذين أوتوا حظًا وجزءًا من التوراة حين يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولوا ويعرضوا عن ذلك، ولقد بين الإمام الطبري موقفهم حيث قال: «يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ بأن هؤلاء الذين دعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم بالحق فيما نازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أبوا الإجابة إلى حكم التوراة وما فيها من الحق من أجل قولهم: ﴿لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ وهي أربعون يومًا،

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي ص ٣٠.

وهن الأيام التي عبدوا فيها العجل، ثم يخرجنا منها ربنا، اغتراراً منهم، ﴿مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ يعني: بما كانوا يختلقون من الأكاذيب والأباطيل في ادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن الله قد وعد أباهم يعقوب أن لا يدخل أحداً من ولده النار إلا تحلة القسم، فأكذبهم الله على ذلك كله من أقوالهم، وأخبر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أنهم هم أهل النار، هم فيها خالدون، دون المؤمنين بالله ورسله وما جاءوا به من عنده^(١).

٦. البهتان العظيم على مريم.

لقد كذبوا وافتروا وظلموا بقولهم على مريم زوراً، فلقد اتهموها بالزنا لولادتها لعيسى عليه السلام من غير أب، وما أسهل أن يلقوا بالتهمة بهتاناً وإفكاً! حتى لو كان الأمر يتعلق بشرفاء القوم وأطهرهم، فهم لا يتورعون عن فعل ذلك، بسبب الكفر الذي تشربته نفوسهم.

قال تعالى: ﴿وَيَكْفُرِهِمْ يَقُولُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بَهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦].

يذكر السمرقندي في بحر العلوم: «وذلك أن مريم كانت متعبدة لله تعالى، ناسكة، اصطفاها الله تعالى بولد بغير أب فغيرها اليهود واتهموها، وقذفوها بيوسف بن ماثان، وكان يوسف خادم بيت المقدس،

ويقال: كان ابن عمها. فأنزل الله تعالى إكذاباً لقولهم وبين بهتانهم، فقال: ﴿وَيَكْفُرِهِمْ يَقُولُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بَهْتَانًا عَظِيمًا﴾ يعني: لعنهم الله وخذلهم بذلك^(٢).

ولقد برأ الله سبحانه وتعالى مريم عليها السلام بقوله: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ مِنَ الْقَتِينِ﴾ [التحریم: ١٢].

كما وصفها الله سبحانه بأحسن الأوصاف، حيث صدقت وأمنت بكتب الله التوراة والإنجيل، وكانت من القانتات الطائعات العابدات، وأحصنت فرجها، وهي شهادة لها من رب العالمين.

٧. قولهم: إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم.

قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الْقَتْلِ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧].

تأتي هذه الآية في سياق من الآيات في سورة النساء، من آية ١٥٣ والتي مطلعها قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾، حيث طلب اليهود من الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينزل

(٢) تفسير السمرقندي ٤٠٢/١.

(١) جامع البيان ٦/٢٩٢.

منه إلا ألفاظ كتاب الله، فالذي لا نشك فيه أن عيسى عليه السلام كان يسبح في الأرض ويدعو إلى الله، وكانت بنو إسرائيل تطلبه، وملكهم في ذلك الزمان يجعل عليه الجعائل، وكان عيسى قد انضوى إليه الحواريون يسرون معه حيث سار، فلما كان في بعض الأوقات شعر بأمر عيسى، فروي أن أحد الحواريين رشي عليه فقبل الرشوة ودل على مكانه.

فلما أحس عيسى وأصحابه بتلاحق الطالبين بهم دخلوا بيتاً بمرأى من بني إسرائيل، فروي أنهم عدوهم ثلاثة عشر، وروي ثمانية عشر، وحصروا ليلاً، فروي أن عيسى فرق الحواريين عن نفسه تلك الليلة ووجههم إلى الآفاق، وبقي هو ورجل معه، فرفع عيسى وألقي شبهه على الرجل فصلب ذلك الرجل، وروي أن الشبه ألقي على اليهودي الذي دل عليه فصلب.

وروي أن عيسى عليه السلام لما أحيط بهم قال لأصحابه: أيكم يلقي شبيهي عليه فيقتل ويخلص هؤلاء وهو رفيقي في الجنة؟ فقال سرجس: أنا. وألقي عليه شبه عيسى، ويروي أن شبه عيسى عليه السلام ألقي على الجماعة كلها، فلما أخرجهم بنو إسرائيل نقص واحد من العدة، فأخذوا واحداً ممن ألقي عليه الشبه حسب هذه الروايات التي ذكرتها، فصلب ذلك الشخص^(١).

عليهم كتاباً من السماء، فوأسى الله رسوله بذكره سبحانه لما فعله أجداد هؤلاء من بني إسرائيل من أفعال شنيعة، حيث طلبوا من موسى عليه السلام أكبر من ذلك، فقد طلبوا منه أن يريهم الله جهرة، كما عبدوا العجل من بعده، ورفع الله الطور فوقهم ونقضوا الميثاق، ولم يدخلوا الباب سجداً، واعتدى فريق منهم يوم السبت الذي حرم عليهم، وكفروا بآيات الله، وقتلوا أنبياءه بغير حق، وقالوا قلوبنا غلف، وقالوا السوء على مريم عليها السلام.

ثم يأتي بعد ذلك تفاصيل هذه الآية، حين قالوا: إنا قتلنا رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام، كل هذه الأفعال والأقوال القبيحة المكفرة ذكرها الله؛ ليبين سبحانه للرسول صلى الله عليه وسلم ولأمة الإسلام من بعده حقيقة هؤلاء القوم.

ثم يبين سبحانه حقيقة القتل الذي تفاخروا به بأنه لم يكن عيسى ابن مريم عليه السلام هو المقتول والمصلوب، ولكن شبه لهم بشخص آخر هو الذي قتل وصلب مكانه.

وتفاصيل هذه القصة يذكرها ابن عطية في تفسيره بقوله: «واختلفت الرواة في هذه القصة وكيفيتها اختلافاً شديداً، أنا أختصر عيونه، إذ ليس في جميعه شيء يقطع بصحته؛ لأنه لم يثبت عن النبي عليه السلام فيه شيء، وليس لنا متعلق في ترجيح شيء

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية ٢/ ١٣٤.

اليهود والعقوبات الإلهية

ابتلى الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل بالنعيم والحسنات تارةً، وبالبلاء والسيئات تارةً أخرى، لعلهم يرجعون إلى الله ويتوبون إليه، ولعلهم يتبعون الطريق القويم طريق الهدى والنور، ولقد فرقه الله في الأرض وشتمهم، فكان منهم الصالحون، وهم قليل، وكان أكثرهم فاسقين.

يقول سبحانه: ﴿وَقَطَعْنَاهُ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ أَتَّخَذُوا الصَّالِحِينَ دُونِ ذَلِكَ يَبْلُغْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

ولقد عاقبهم الله سبحانه على انحرافاتهم، ومن تلك العقوبات:

أولاً: عقوبات دنيوية حلت بهم:

١. أمرهم بقتل بعضهم بعضاً.

الشرك بالله هو أعظم الظلم، ولقد ارتكب كثير من بني إسرائيل أعظم الظلم عندما عبدوا العجل من دون الله، وهذا الظلم العظيم جاء عوضاً عن الشكر الواجب عليهم، وخاصةً بعد أن شاهدوا بأعينهم كيف فرق الله البحر فأنجاهم وأغرق فرعون وجنوده، لذا كان العقاب عظيماً ويتناسب مع عظم الظلم الذي ارتكبه، ومع شدة هذا العقاب صاحبه توبة من عند الله.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُنْقَرُوا

إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤].

وعن اقتران التوبة بالعقاب وشدة هذا العقاب، يقول السيوطي: «أخرج ابن أبي حاتم عن علي قال: قالوا لموسى: ما توبتنا؟ قال: يقتل بعضكم بعضاً. فأخذوا السكاكين فجعل الرجل يقتل أخاه وأباه وابنه حتى قتل منهم سبعون ألفاً، فأوحى الله إلى موسى: مرهم فليرفعوا أيديهم وقد غفر لمن قتل وتيب على من بقي»^(١).

هكذا كان عقابهم من الله، ولأن الله تعالى هو التواب الغفار فلقد تاب الله على من بقي منهم على قيد الحياة وغفر لمن قتل في هذا العقاب.

٢. ضرب الذلة والمسكنة عليهم.

أراد الله لهم العزة وأبوا إلا الذلة والهوان، أراد الله لهم العزة بأن نجاهم من استعباد فرعون وقومه، كما أراد الله لهم العزة بأن يدخلوا الأرض المقدسة، وأراد الله لهم العزة بأن فجر لهم من الحجر ماءً، وأنزل لهم المن والسلوى من غير تعب وزرع، فأبى بنو إسرائيل إلا الذلة والهوان والفاقة، بأن استبدلوا الذي هو أدنى من الطعام بالذي هو خير، وذلك عندما تدمروا

(١) الدر المنثور، السيوطي ١/١٦٩.

تجلب لهم غرضاً من أغراض الدنيا، ومهما كثر المال في أيديهم فإنهم لا يتحولون عن فقرهم النفسي وظهورهم أمام الناس بمظهر البائس الفقير^(١).

والآية الثانية في القرآن الكريم التي ذكر فيها لفظاً ﴿الذلة﴾ و﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ هي قوله تعالى: ﴿صُرِّتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفْعَلُوا لَا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبَغَضُ مِنَ اللَّهِ وَصُرِّتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْبَنِيَّةَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

فاليهود على مر التاريخ وفي كل بقعة من بقاع الأرض هم قوم أذلاء مهانين من قبل الناس لسوء طبعهم وخلقهم، وهذا ما كتبه الله عليهم، إلا في حالتين، استثنى الله الذل عنهم بقوله ﴿لَا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ﴾، أي: بعهد من الله وعهد من الناس، فإرادة الله وحكمته قد تقتضي أن يعيش اليهود في فترة من الفترات الزمنية أو في بقعة من البقاع بغير الذل والهوان الذي كتب عليهم، كما أن من طبيعة اليهود أنهم يسعون دائماً إلى أخذ العهد والأمان والنصرة من الناس، ومثال على ذلك ما حدث في القرن الماضي، حيث سعى اليهود إلى توقيع اتفاقيات ووعود مع الدول العظمى في ذلك

من أكل طعام واحد، وطلبوا البقل والقثاء والثوم والعدس والبصل.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَسْمُوْنَ لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَّا رَبَّكَ يَخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقِيلِهَا وَقَشَائِهَا وَفُورِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَفَظِلُّوا مِصْرًا فَإِن لَّكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَصُرِّتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُ وَبَغَضُ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْبَنِيَّةَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

أما عن الذلة والهوان والمسكنة التي أصابت بني إسرائيل فيعقب الدكتور محمد سيد طنطاوي بقوله: «إنَّ الذلة هوان تجيء أسبابه من الخارج، كأن يغلب المرء على أمره نتيجة انتصار عدوه عليه فيذل لهذا العدو، أما المسكنة فهي هوان ينشأ من داخل النفس نتيجة بعدها عن الحق، واستيلاء المطامع والشهوات عليها، وتوارث الذلة قروناً طويلة يورث هذه المسكنة، ويجعلها كالطبيعة الثابتة في الشخص المستذل، ولقد عاش اليهود قروناً وأحقاباً مستعبدين لمختلف الأمم، فأكسبهم هذا الاستعباد ضعفاً نفسياً جعلهم لا يفرقون بين الحياة الذليلة والكريمة، بل إنهم يفضلون الأولى على الثانية ما دامت

(١) التفسير الوسيط ١/ ١٥٣.

ويقال: «خاسئين» أي: صاغرين ذليلين^(١).
وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦].

لما أبوا وعصوا أمر الله حق عليهم العذاب، يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي: «لأن «العتو» كبرياء وإباء، فيعاقبهم الله بأن جعلهم كأخس الحيوانات فصيرهم أشباه القردة، كل منهم مفضوح السوء، يسخر الناس منهم ويستهزئون بهم»^(٢).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَكَرَ مُثُوبُهُ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

ذكر الخازن في تفسيره: «وقيل: إن مسخ القردة كان من أصحاب السبت من اليهود، ومسخ الخنازير كان في الذين كفروا بعد نزول المائدة في زمن عيسى عليه السلام، ولما نزلت هذه الآية عير المسلمون اليهود وقالوا لهم: يا إخوان القردة والخنازير. وافتضحوا بذلك»^(٣).

وهذا عقاب دنيوي استحققه كفار بني إسرائيل، فهم شُرُّ مكانًا يوم القيامة في نار جهنم، وأضل الناس عن سواء السبيل

الوقت كي تساعدهم على إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، فلقد وقع اليهود الاتفاقية الشهيرة المشثومة المسماة بوعده بلفور بتاريخ ٢ نوفمبر ١٩١٧م، حيث أبرم وزير الخارجية البريطاني في ذلك الوقت (آرثر بلفور) اتفاقية مع اليهود تنص على منح اليهود وطنًا قوميًا في فلسطين.

وهذا هو الحبل والعهد مع الناس الذي يسعى اليهود لتحقيقه، وبالإضافة إلى الذل الذي كتب عليهم فلقد باءوا بغضب من الله، وضربت عليهم المسكنة أيضًا، كل ذلك كان بسبب الأفعال الشنيعة التي ارتكبوها، من كفر بآيات الله، وقتل للأنبياء بغير حق.

٣. جعلهم قردة وخنازير.

هذا جزاء الكبر والغرور والتمرد على رسل الله، أرادوا الاستعلاء فأخزاهم الله، ومسحهم على هيئة حيوانات دنيئة، فلقد ذكر أمر جعلهم قردة ثلاث مرات في القرآن الكريم، وفي مرة واحدة من هذه المرات الثلاث ذكر أمر جعلهم خنازير أيضًا.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥].

وعن معنى خاسئين يقول السمرقندي: «يعني مبعدين من رحمة الله، وأصله في اللغة من البعد، يقال: خسا الكلب إذا بعد،

(١) تفسير السمرقندي ١/ ١٢٦.

(٢) تفسير الشعراوي ٨/ ٤٤١٢.

(٣) لباب التأويل ٢/ ٦٩.

فاستجاب الله دعاءه، فحرم عليهم الأرض المقدسة أربعين عامًا، وكتب عليهم التيه في الأرض.

يقول ابن جزى الغرناطي: «وحرّم الله على جميع بني إسرائيل دخول تلك المدينة أربعين سنة، وتركهم في هذه المدة يتيهون في الأرض، أي: في أرض التيه، وهو ما بين مصر والشام، حتى مات كل من قال: ﴿إِنَّا لَنَنـْزِلُهَا﴾ ولم يدخلها أحد من ذلك الجيل إلا يوشع وكالب، ومات هارون في التيه، ومات موسى بعده في التيه أيضًا، وقيل: إن موسى وهارون لم يكونا في التيه، لقوله: ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾»^(٣)

٥. بعث من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِيبُكَ يَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْتَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

يقول سيد قطب «فهو إذن الأبد الذي تحقق منذ صدوره، فبعث الله على اليهود في فترات من الزمان من يسومهم سوء العذاب، والذي سيظل نافذًا في عومهم، فيبعث الله عليهم بين آونة وأخرى من يسومهم سوء العذاب، وكلما انتعشوا وانتفشوا وطغوا في

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزى ١/ ٢٣٢.

والصراط المستقيم.
٤. التيه في الأرض.

معنى التيه ورد في المعجم الوسيط أن تاه تيهًا، وتيهًا، وتيهانًا: تكبر، فهو تائه وتياه، وتاه في الأرض ضل وذهب متحيرًا^(١).

يوضح العلامة المصطفوي معنى التيه في الأرض بقوله: «والتيه من الأرض ما يتحير فيه، وفي القرآن ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يتحiron، أي: يمشون متحيرين لا يدرون أين يقيمون ولا أين يتوجهون»^(٢).

وعن تيه بني إسرائيل قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦].

بعد الرد المخزي لبني إسرائيل على طلب سيدنا موسى عليه السلام عندما طلب منهم أن يدخلوا الأرض المقدسة جاء هذا العقاب القاسي، فلقد اشترطوا على سيدنا موسى عليه السلام أنه إذا خرج منها القوم الجبارون فإنهم سيدخلونها، بل إنهم قالوا قولتهم المخزية: ﴿فَإَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُمُنَا قَتَلُودٌ﴾، فما كان من سيدنا موسى عليه السلام إلا أن دعا ربه بقوله ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾،

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ص ٩٢.

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي ١/ ٤٣٩.

الأرض وبغوا جاءتهم الضربة ممن يسلطهم الله من عباده على هذه الفئة الباغية النكدة، الناكثة العاصية، التي لا تخرج من معصية إلا لتقع في معصية، ولا تثوب من انحراف حتى تجنح إلى انحراف»^(١).

وبالفعل تعرض بنو إسرائيل ومن خلفهم اليهود لأشد أنواع العذاب والتنكيل عبر الزمان، وسأعرض هنا بعض حالات العذاب التي تعرضوا لها:

انقض «سرجون» ملك آشور على مملكة إسرائيل سنة ٧٢١ ق.م. فقتل الآلاف من رجالها، وأسر البقية منهم فرحلهم إلى ما وراء نهر الفرات^(٢).

٥٨٦ ق.م. حينما حاول الحاكم اليهودي أن ينقلب على البابليين هاجمه الملك البابلي الشهير (بختنصر) وهدم أسوار ومنازل أورشليم (القدس)، وأخذ من بقي من اليهود عبيداً إلى بابل، وكانوا قرابة أربعين ألفاً، وهو ما يعرف عندهم «بالسبي البابلي» وهدم القدس وما فيها من معابد لهم، وسلب منهم التابوت مرة أخرى، ولاقى اليهود خلال وجودهم في بابل ألوان العذاب والهوان^(٣).

❁ في سنة ٣٢٠ ق.م. سار إليهم (بطليموس) خليفة الإسكندر، فهدم القدس، ودك أسوارها، وأرسل منهم مائة ألف أسير إلى مصر؛ لأنهم ثاروا عليه^(٤).

❁ استطاع القائد (تيتوس) الروماني سنة ٧٠م دخول القدس فدمرها بالكامل، وأخذ اليهود عبيداً يباعون في روما^(٥).

❁ في فرنسا أمر لويس التاسع بإلغاء ثلث ما كان لليهود على رعاياه المسيحيين من الدين، ثم أصدر إرادة ملكية بحرق جميع كتبهم المقدسة^(٦).

❁ وفي سنة ١٣٢١م هاج عليهم الشعب في أواسط فرنسا، وذبحوا منهم عداداً كبيراً^(٧).

❁ وفي سنة ١٣٢٨ م جأر الشعب البريطاني بالشكوى من اليهود، فأصدر الملك إدوارد الأول أمراً بطرد اليهود من جميع البلاد البريطانية في غضون ثلاثة أشهر، إلا أن الشعب البريطاني لم يصبر على اليهود حتى تنقضي تلك المدة، بل أخذ يقتل منهم العشرات والمئات، وفي قلعة (بورك) التي

(٤) التفسير الوسيط ٥/ ٤١٦.

(٥) اليهود الموسوعة المصورة ص ٥٧.

(٦) تاريخ الإسرائيليين، شاهين مكاريوس ص ٨٢.

(٧) المصدر السابق ص ٨٣.

(١) في ظلال القرآن ٣/ ١٣٨٦.

(٢) التفسير الوسيط ٥/ ٤١٥-٤١٦.

(٣) اليهود الموسوعة المصورة، طارق السويدان ص ٥٣.

❖ قتل اليهود بالآلاف في روسيا لغدرهم وخيانتهم، وذلك في ظل الحكم القيصري النصراني سنة ١٨٨١م وبعدها^(٥).

❖ وكان آخر ما لاقوه من عذاب وتقتيل وتشريد على يد «هتلر» ابتداء من توليه الحكم في ألمانيا سنة ١٩٣٣ إلى أن سقط حكمه سنة ١٩٤٥^(٦).

هذا كله جزء من سوء العذاب الذي سلطه الله عليهم، عقاب سريع لهم في الدنيا، فالله سريع العقاب، وإنه لغفور رحيم لمن تاب منهم قبل يوم القيامة.

٦. تحريم أصناف من الطعام.

كان الطعام كله حلالاً لبني إسرائيل من بعد سيدنا يعقوب عليه السلام ومن قبله أيضاً، إلا ما حرمه سيدنا يعقوب على نفسه لمرض أصابه، فاجتنب لحوم الإبل وألبانها، وقد يكون الأمر بأن اقتدى بنو إسرائيل بسيدنا يعقوب بتحريم بعض الطعام، وقد لا يكون، لكن من المؤكد أن بني إسرائيل قد عوقبوا بتحريم بعض الطيبات بسبب ظلمهم وبغيهم.

قال تعالى: ﴿فَيُظَاهِرُ مِن الذَّيْتِ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِيبَتٌ أُحْلَتَ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٦٠].

احتُمى بها عدد كبير من اليهود أحرق الإنجليز أكثر من خمسمائة يهودي، وقد اضطر الملك إلى ترحيلهم قبل انقضاء المدة لئلا يفتك الشعب بهم جميعاً في كل مكان^(١).

❖ في سنة ١٤٩٢م في عهد الملك (فرديناند) وزوجته (أيزابلا) وصلت موجة السخط على اليهود أقصاها لتغلغلهم في الحياة الأسبانية، واستيلائهم على اقتصادها وإشغالهم نار الخلافات الدينية بين الطوائف، فرأى الملك وزوجته أن خير وسيلة لوقاية البلاد من شرورهم هي طردهم من أسبانيا طرداً نهائياً^(٢).

❖ وفي سنة ١٥٤٠م هاجمهم باباوات الكنيسة الكاثوليكية في إيطاليا هجوماً عنيفاً، ثم ثار عليهم الشعب وطردهم، كل ذلك لأذاهم وسوء جوارهم وطباعهم^(٣).

❖ وفي أوائل القرن التاسع عشر حاول (نابليون) أن يستغلهم لبلوغ مآمعه، ولكنهم خانوه، فاحتقرهم وبطش بعدد منهم، وقال عنهم: «إنهم حثالات البشر وجراثيمه»^(٤).

(١) التفسير الوسيط ٥/ ٤١٧.

(٢) المصدر السابق ٥/ ٤١٩.

(٣) اليهود الموسوعة المصورة ص ٦٢.

(٤) التفسير الوسيط ٥/ ٤١٨.

(٥) اليهود الموسوعة المصورة ص ٦٣.

(٦) التفسير الوسيط ٥/ ٤٢٠.

الإبل وألبانها؟! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لأن ذلك حلالاً لإبراهيم، فنحن نحله، فقالت اليهود: كل شيء أصبحنا اليوم نحرمه فإنه كان محرماً على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا. فأنزل الله عز وجل تكذيباً لهم ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالاً لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (٢).

وهكذا بهت اليهود حين طلب منهم أن يأثروا بالتوراة حتى يبينوا مدى صدقهم، وهذا ما لم يحدث، فتبين كذبهم وافتضح أمرهم. ومما حرّمه الله من الطيبات على بني إسرائيل كل ذي ظفر وشحوم البقر والغنم، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْفَنَرِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِغَلَبٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

يقول صاحب صفوة التفسير: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ أي: وعلى اليهود خاصة حرّمنا عليهم كل ذي ظفر، قال ابن عباس: هي ذوات الظلف كالإبل والنعام، وما ليس بذئ أصابع منفردة كالبط والأوز، ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْفَنَرِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ أي: وحرّمنا عليهم أكل شحوم البقر وشحوم الغنم، ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ أي:

بسبب الظلم كان التحريم، بسبب ظلمهم لأنفسهم، وظلمهم لأنبيائهم، وظلمهم لغيرهم من الناس بأكل أموال الناس بالباطل، واستباحتهم لأنفسهم بأخذ الربا وهو محرم عليهم، وبصدهم عن سبيل الله، حرم الله عليهم من الطيبات ما كان حلالاً لهم، وما كان ذلك إلا عقاباً منه سبحانه وتأييداً لهم.

وعن هذا التحريم يقول ابن كثير: «وهذا التحريم قد يكون قدرياً، بمعنى أنه تعالى قيضهم لأن تأولوا في كتابهم وحرفوا وبدلوا أشياء كانت حلالاً لهم فحرموها على أنفسهم؛ تشديداً منهم على أنفسهم، وتضييقاً وتنظراً، ويحتمل أن يكون شرعياً، بمعنى أنه تعالى حرم عليهم في التوراة أشياء كانت حلالاً لهم قبل ذلك» (١).

كما قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالاً لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

ذكر الواحدي في أسباب النزول: قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالاً لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ﴾ قال أبو روق والكلبي: نزلت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم: إنا على ملة إبراهيم، فقالت اليهود: كيف وأنت تأكل لحوم

(٢) أسباب نزول القرآن ص ١١٨.

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٤١٥.

فِي الْكِتَابِ لِنَفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ
عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا
عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا
خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ
رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ
وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ
أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَقُوا وُجُوهَكُمْ
وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا عَلُوا النَّبِيرَا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ
يَرْحَمَكُمُ وَلَٰئِنْ عُدْتُمْ عَدًّا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
حَصِيرًا ﴿٨﴾ [الإسراء: ٤-٨].

اختلفت أقوال المفسرين قديمًا وحديثًا
بشأن تحديد مرتي الإفساد والعلو في
الأرض اللتين ذكرهما الله سبحانه وتعالى
في الآيات السابقة، ولقد أخبر الله سبحانه
وتعالى بني إسرائيل في التوراة بأنهم
سيفسدون في الأرض مرتين وسيعلون فيها
علوًا كبيرًا.

والاختلاف بين المفسرين متعلق
بزماني حدوث مرتي الإفساد، ففريق كبير
من المفسرين ذهب إلى أن مرتي الإفساد
والعلو قد وقعتا قبل الإسلام، ومن هؤلاء
المفسرين: الطبري والزمخشري والبيضاوي
وسيد قطب ومحمد سيد طنطاوي، واختلف
هذا الفريق أيضًا بتحديد هاتين المرتين:

فالمرة الأولى: قيل: هي تلك التي قتل

إلا الشحم الذي علق بالظهر منهما، ﴿أَوْ
الْحَوَايَا﴾ أي: الأمعاء والمصارين، ﴿أَوْ مَا
اِخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ كشحم الألية، والمعنى أن
الشحم الذي تعلق بالظهور أو احتوت عليه
المصارين أو اختلط بعظم كشحم الألية
جائز لهم ^(١).

وما كان ذلك الجزاء والعقاب إلا لبغيهم
وظلمهم وعدوانهم، والله صادق فيما
يقول، فمن أصدق من الله قولاً؟!

ثانيًا: عقوبات دنيوية تنتظرهم:

١. بعث من يسومهم سوء العذاب إلى يوم
القيامة.

تم ذكر «بعث من يسومهم سوء العذاب
إلى يوم القيامة» في المطلب السابق المتعلق
بالعقوبات الدنيوية التي حلت بهم، وتم
تكراره في هذا المطلب أيضًا؛ لأن عقوبة
بعث من يسومهم سوء العذاب هي من
ضمن العقوبات التي تنتظرهم حتى يوم
القيامة، حيث قال سبحانه: ﴿وَإِذَا تَأَذَّنَ
رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ
سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ
لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

٢. دخول عباد الله المؤمنين عليهم
المسجد وإهلاكهم على أيديهم.

قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ

(١) صفوة التفاسير، الصابوني ١/ ٤٢٦.

فيها بنو إسرائيل زكريا عليه السلام. وقيل: مخالفتهم للتوراة وقتلهم لشعيا. وقيل: قتلهم للناس ظلماً وتغلبهم على أموالهم. واتفق أغلب هذا الفريق على أن الذين سلطوا عليهم هم البابليون بقيادة نبوخذ نصر.

أما المرة الثانية: فأغلب هؤلاء المفسرين ذهب إلى أن الإفساد الثاني كان بقتل بني إسرائيل ليحيى عليه السلام، وأن الذين سلطوا عليهم هم الرومان.

كما ذهب فريق آخر من المفسرين إلى أن إحدى مرتتي الإفساد والعلو قد حدثت قبل الإسلام، وأن المرة الثانية ستحدث بعده في المستقبل، وأنها لم تحدث إلى الآن، وأصحاب هذا الرأي هم من المعاصرين كالأستاذ بسام جرار، وخالد عبد الواحد صاحب كتاب «نهاية إسرائيل»، فقد ذهب هؤلاء إلى ما ذهب إليه الفريق الأول من المفسرين بشأن مرة الإفساد الأولى، وتسليط البابليين عليهم، ولكنهم اختلفوا معهم بشأن المرة الثانية، حيث اعتقدوا بأن المرة الثانية هي ما نعيشه الآن من فساد اليهود وإنشاء دولتهم الغاصبة «إسرائيل»، وأن الله سيبعث عليهم من يسوء وجوههم ويدخل المسجد الأقصى فاتحاً ومحزناً.

كما ذهب فريق ثالث بالقول إلى أن مرتتي الإفساد والعلو ستكونان بعد مجيء

الإسلام، فالأولى ما كان في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم من فساد لأقوام اليهود الثلاثة في المدينة المنورة، وما اتخذته الرسول صلى الله عليه وسلم في حقهم من جلاء أو قتل، أما المرة الثانية فلقد اتفق أصحاب هذا الفريق مع أصحاب الفريق الثاني بما ذهبوا إليه من قول من أن الفساد الثاني لبني إسرائيل هو ما نشهده في عصرنا هذا، وأصحاب هذا الرأي هم من المعاصرين، كالشيخ محمد متولي الشعراوي، والدكتور فضل حسن عباس، والدكتور صلاح الخالدي.

وهناك رأي مختلف للدكتور عمر سليمان الأشقر، حيث يرى أن الإفسادين سيقعان مرتين متتاليتين، وهما إفسادان يصحبهما علوٌ عظيم.

يقول الدكتور عمر سليمان الأشقر: «إن الجوس يعني أن العباد أولي البأس الشديد يدخلون ديار اليهود، ويتوسطون فيها، وترددون بين مدنها وقراها، وليس معناه احتلالها وإخراج اليهود منها، وقد وقع هذا الجوس اليوم، فجاس عباد الله أصحاب البأس الشديد خلال ديار اليهود، وأذوا اليهود أذىً شديداً، وقاموا بعمليات موجعة لليهود، وقد احتاج اليهود بعد إحداها أن يؤتى بالزعماء والرؤساء من غير اليهود كي يشدوا من أزر اليهود، لقد جاس عباد الله

فإنه من شجر اليهود^(٢).

واتفق أغلب المفسرين المعاصرين -رغم خلافهم في تحديد مرة الإفساد الأولى- على أن وعد الآخرة لم يتحقق بعد، والتمثل بقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّكُوا مَا عَلَوُا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧].

يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي: «وفي الآية بشارة لنا أننا سنعود إلى سالف عهدنا، وستكون لنا يقظة وصحوة نعود بها إلى منهج الله، وإلى طريقه المستقيم، وعندها ستكون لنا الغلبة والقوة، وستعود لنا الكرة على اليهود»^(٣).

وعن معنى قوله سبحانه: ﴿لِيَسْتَوْفُوا وَجُوهَكُمْ﴾، يقول الإمام الرازي: «ويقال: ساءه يسوءه إذا أحزنه، وإنما عزا سبحانه الإساءة إلى الوجوه؛ لأن آثار الأعراض النفسية الحاصلة في القلب إنما تظهر على الوجه، فإن حصل الفرح في القلب ظهر الإشراق في الوجه، وإن حصل الحزن والخوف في القلب ظهر الكلوح

أولي البأس الشديد ديار اليهود، فقتلوا من اليهود ودمروا ونسفوا وأوقعوا باليهود رعباً عظيماً، فأقام اليهود حول أنفسهم سوراً عظيماً ليحموا أنفسهم من ذلك الجوس، وهذا الجدار من الكرة التي حكى الله أنه سيردها على العباد الأقوياء.

ولكن أنى للجدار أن يقي اليهود من بأس الجائسين، لقد انطلقت الصواريخ لتقوم بمتابعة الدور الذي كانوا يقومون به خلال الجوس في الديار، ومع رد الكرة لليهود يأتيهم سيل عظيم من مال الدول الصليبية الحاقدة على الإسلام والمسلمين، كما أمدهم الله بالبنين يفدون عليهم من شتى أنحاء العالم، وخاصة من الدول التي كانت تعرف بالاتحاد السوفيتي، وأهمها روسيا^(١).

ومع وجود هذا الخلاف الواضح إلا أنه ما من شك بأن زوال هذا الكيان الغاصب وانتهامه أمرٌ مسلمٌ به، وهذا ما أكدته حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله. إلا الغرقد

(١) وليتبروا ما علوا تتيبرا، عمر الأشقر ص ١٦٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ٤/ ٢٢٣٩، رقم ٢٩٢٢.

(٣) تفسير الشعراوي ١٤/ ٨٣٦٣.

والغبرة والسواد في الوجه»^(١).

وهذا من هول المفاجأة التي ستحدث لهم، حيث تكون لهم جولة الغلبة وكرة النصر، والمدد بالأموال والبنين، والنفير الكثير، والكيد والهيمنة، وبينما هم ينعمون بهذه الحال إذ يبعث الله عليهم من يسوء وجوههم ويذلهم ويهينهم، بسبب العدوان والظلم والقتل والاعتداء على الحقوق والممتلكات والبلاد والعباد، كما تظهر علامات الخزي والذل على وجوههم بسبب رجوع المسجد الأقصى لأحضان الأمة الإسلامية وفقدانهم الهيمنة والسيطرة عليه.

ومما يؤكد أن مرة الإفساد والعلو الثانية لم تحدث بعد قوله سبحانه: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِنَبْتَلِيَ إِسْرَءِيلَ أَكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤].

ومعنى اسكنوا الأرض أي: كل الأرض، فلقد انتشر بنو إسرائيل في كل بقاع الأرض وتشتوا بها، وهامهم الآن يجتمعون لفيفاً في أرض فلسطين، مختلطين من قبائل شتى، ويأتون من كل حذب وصوب، ومن شتى بلاد المعمورة.

ثالثاً: عقوبات أخروية:

حيث الجزاء الأوفى، والحساب النهائي،

والعذاب الأبدي.

فبعد كل الانحرافات وما تبعها من عقوبات دنيوية حلت بهم أو ستحل بهم تأتي العقوبات الأخروية التي لا يقدرון عليها، ولا يطيقونها، وسنذكر منها:

١. لا يكلمهم الله، ولا يزيكهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤].

يقول الشوكاني ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ قيل: المراد بهذه الآية: علماء اليهود؛ لأنهم كتموا ما أنزل الله في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم^(٢).

ويقول الإمام الطبري: «يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أحبار اليهود الذين كتموا الناس أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة، برشئ كانوا أعطوها على ذلك»^(٣).

فلقد كتم بعض علماء اليهود والنصارى صفات النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والتي قد رأوها متحققة فيه عليه الصلاة والسلام ومنها خاتم النبوة الذي كان

(٢) فتح القدير ١/ ١٧١.

(٣) جامع البيان ٣/ ٣٢٧.

(١) مفاتيح الغيب ٢٠/ ١٦٠.

ولقد توعد الله سبحانه كل من يكتنم شيئاً من الكتاب من أجل مال أو غرض من الدنيا توعدته سبحانه بالعذاب الأليم، ولن يكلمه الله ولن يزكيه.

وعن حكمة ذكر بطونهم بالذات يقول الثعالبي: «وفي ذكر البطن تنبيهٌ على مذمتهم؛ بأنهم باعوا آخرتهم بحظهم من المطعم الذي لا خطر له، وعلى هجنتهم بطاعة بطونهم، قال الربيع وغيره: سمى مأكلهم ناراً؛ لأنه يؤول بهم إلى النار. وقيل: يأكلون النار في جهنم حقيقة»^(٢).

٢. في نار جهنم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

توعد الله سبحانه الذين كفروا من اليهود والنصارى بنار جهنم خالدين فيها؛ لأنهم شر خلق الله، بكفرهم وعنادهم واستكبارهم، وعدم اتباعهم لما أنزل عليهم من الحق، فجحدوا وكفروا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يكتفوا بذلك، بل عادوه ومن اتبعه، وحاربوهم وألبوا عليهم الأعداء والمشركين.

رابعاً: عقوبات في الدارين:

وهناك أنواع من العقاب تلازمهم في

على كتفه الشريف، وقصة إسلام سلمان الفارسي تبين أن علماء اليهود والنصارى يعرفون صفات النبي الذي سيبعث، ولكن كثيراً منهم أخفى ذلك.

فسلمان رضي الله عنه كان باحثاً عن الحقيقة، فلقد تتلمذ على أيدي عدد من أساقفة النصارى، كما أورد الإمام أحمد في مسنده قصة إسلام سلمان رضي الله عنه، والتي رواها لعبدالله بن عباس رضي الله عنهما، نذكر منها قوله: (لحقت بصاحب عمورية، وأخبرته خبري، فقال: أقم عندي، فأقمت مع رجلٍ على هدي أصحابه وأمرهم، قال: واكتسبت حتى كان لي بقراتٌ وغنيمةٌ، قال: ثم نزل به أمر الله، فلما حضر قلت له: يا فلان، إني كنت مع فلان، فأوصى بي فلانٌ إلى فلانٍ، وأوصى بي فلانٌ إلى فلانٍ، ثم أوصى بي فلانٌ إليك، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟ قال أي: بني، والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحدٌ من الناس أمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي، هو مبعوثٌ بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرضٍ بين حرتين بينهما نخلٌ، به علاماتٌ لا تخفى، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل)^(١).

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ١٠/٥٦٦١، رقم ٢٤٢٣٤.

(٢) الجواهر الحسان، الثعالبي ١/١٣١.

الدارين، أي: في الدنيا والآخرة، وهي:
٣. غضب الله عليهم.

قال الحسن المصطفوي: «وأما الغضب من الله العزيز فهو أيضًا شدة وحدة بمراتبها في قبال قبائح الأعمال ومظالم العباد ومساوئ الأخلاق والمعاصي، وفي الذين بدلوا نعمة الله كفراء، وأخلوا فيما خلق وقدر»^(١).

وهذه آيات توضح غضب الله سبحانه وتعالى على كفار بني إسرائيل، وعلى اليهود من بعدهم.

قال تعالى: ﴿ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةُ أَيْنَ مَا يُوقِفُوا إِلَّا لِجَبَلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَجَلٍ مِّنَ النَّاسِ وَيَأْمُرُ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

وقال تعالى: ﴿وَنَسَمَا أَشْتَرَا بِوَعْدِ أَنْفُسِهِمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَقِيًّا أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠].

تكاثرت أعمال الكفر عند اليهود وتوالت وتتابعت، فاستوجبوا بذلك غضب الله ولعنته عليهم لعنة بعد لعنة، ولأن الكبر والغرور سبب كفرهم كان العقاب من الله

الذل والإهانة في العذاب.
٤. لعنة الله عليهم.

ويحقق الحسن المصطفوي معنى اللعن بقوله: «هو الإبعاد عن الخير والعطوف بعنوان السخط عليه، وهذا من الله تعالى إبعادًا عن رحمته ولطفه، ومن الناس إبعاد عن رحمة الله تعالى بالدعاء عليه والمسألة من الله بسخطه وغضبه عليه»^(٢).

لقد استحق اليهود لعنة الله، فلقد لعنهم الله في أكثر من موضع في القرآن الكريم، لكفرهم بالقول والعمل.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَتُؤْمِنُ بِاللَّعْنَةِ الَّتِي لَعَنَ اللَّهُ يَكْفُرُهُمْ قَلِيلًا وَكَثِيرًا وَمَنْ يُؤْمِنُ﴾ [البقرة: ٨٨].

يقولون بحق أنفسهم سوءًا، فهم لا يريدون أن يسمعوا الحقيقة التي تخالف هواهم، فكان عذرهم أن قلوبهم مغطاة مغلفة وفي أكنة، وهذا عذر أقبح من ذنب، فلقد استحقوا اللعنة لكفرهم وكبرهم وضلالهم.

يقول الإمام الطبري: «يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: بل أقصاهم الله وأبعدهم وطردهم وأخزاهم وأهلكهم بكفرهم وجحودهم آيات الله وبيناته وما ابتعث به رسله، وتكذيبهم أنبياءه، فأخبر تعالى ذكره أنه أبعادهم منه ومن رحمته بما كانوا يفعلون من ذلك، وأصل اللعن: الطرد

(٢) المصدر السابق ١٠/ ٢٢٣.

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم ٧/ ٢٨٣.

أو السخط، كما أن الغضب قد يوجد من دون تحقق السخط، فالسخط يلزم الكراهة والغضب مع فقدان الرضا، أي: هو ما يقابل الرضا^(٣)، ولقد سخط الله على اليهود حين جيشوا أهل مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿كَرِهِي كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠].

موضوعات ذات صلة:

أهل الكتاب، بنو إسرائيل، الإنجيل، التوراة، غزوات الرسول مع اليهود، موسى عليه السلام، النصراني

والإبعاد والإقصاء، يقال: لعن الله فلانًا يلعنه لعنا وهو ملعون، ثم يصرف مفعول فيقال: هو لعين^(١)، واليهود ملعونون.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

وهذا فعل آخر استوجب لعنة الله عليهم، ولعنة الملائكة والمؤمنين، فلقد كتم وأخفى علماء اليهود والنصارى ما أنزله الله سبحانه وتعالى في كتابه من إخبار بنبو محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الآيات البينات، ومن سبل الحق والهدى؛ فاستحقوا بذلك اللعن والطرده من رحمة الله.

٥. سخط الله عليهم.

ويحقق الحسن المصطفوي معنى السخط بقوله: «هو ما يقابل الرضا، كما أن الغضب ما يقابل الرحمة، والكراهة ما يقابل الحب».

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاقْبَظْ أَقْمَلَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨]^(٢).

وقال المصطفوي أيضًا: «يمكن أن توجد الكراهة من دون أن يتحقق الغضب

(١) جامع البيان ٢/ ٣٢٨.

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم ٥/ ٩٤.

(٣) المصدر السابق ٥/ ٩٤.